العرب
الأربعاء 2019/10/30
السنة 42 العدد 11513

ألمانيا تعبّد الطرق السياسية لعقد المؤتمر الدولي حول الأزمة الليبية

الإخوان يستبقون مؤتمر برلين بمبادرة تستهدف عدم إقصائهم

منذ أعلنت برلين نيتها عقد مؤتمر دولي حول ليبيا، لم تهدأ العواصف السياسية التي يثيرها التيار الإسلامي، لأن هدف المؤتمر الرئيسي وضع حد للدور المتعاظم للميليشيات المسلحة والجماعات الإرهابية. والآن بدأت تتكشف بعض التوجهات لتخريبه، حيث طرح الإخواني خالد المشري رئيس مجلس الدولة الليبي الاثنين، مبادرة مريبة للحل السياسي قبل وقت قصير من انعقاد مؤتمر برلين. وعلمت "العرب" أن منظمة الحوار الإنساني تتّجه لعقد اجتماع في جنيف بعد أيام، ودعت له شخصيات سياسية واقتصادية وإعلامية ليبية محسوبة على الإخوان، بزعم وضع رؤية موازية لحل الأزمة في ليبيا.

برلين تسرّع وتيرة تحركاتها

محمد أبوالفضل
كاتب مصري

القاهرة – تسرّع ألمانيا من وتيرة تحركاتها لتكوين صورة أكثر دقة لضمان نجاح مبادرتها بشأن عقد مؤتمر دولي لحل الأزمة الليبية في نوفمبر المقبل. وبدأ وزير خارجيتها هايكو ماس بجولة من الأحد إلى الثلاثاء شملت طرابلس وتونس والقاهرة، للوقوف على كثير من التفاصيل بعد أن ظهرت بوادر انسداد، وتفرّعت مناقشات برلين بحضور ممثلين للدول المعنية بالأزمة والمبعوث الأممي إلى ليبيا غسان سلامة، إلى قضايا وملفات عديدة وضعت مشروع المؤتمر الذي تبنّته المستشارة أنجيلا ميركل في مفترق طرق.

> النتيجة التي سيخرج بها هايكو ماس من جولته في طرابلس وتونس والقاهرة، ترسم الكثير من المحددات التي تتحكم في شكل المؤتمر، فلا مفر من التئامه مهما تدنت الطموحات وتزايدت المشكلات، لأنه تم الترويج له على اعتباره السبيل الوحيد للحل

عندما أقدمت برلين على الاقتراب من الأزمة قبل حوالي شهرين، كانت لديها تصورات حالمة مبالغ فيها، وهي التي تفتقر إلى معرفة الكثير من المكونات السياسية والأمنية والاجتماعية والاقتصادية في ليبيا. واستمعت خلال ثلاث جولات تحضيرية في برلين، آخرها عقدت في 21 أكتوبر الجاري، لآراء وتقديرات مختلفة، تكاد تكون متضاربة، حيث عبّر كل وفد عن موقف بلاده من الأزمة الليبية ورؤيته للحل من وجهة نظره ووفقا لمصالحه.

أدى التباعد اللافت في المواقف إلى حيرة ألمانية، وربما إلى ارتباك في الحسابات التي راهنت على عقد المؤتمر المنتظر وتحقيق نسبة عالية من النجاح تفوق ما جرى في مؤتمري باريس وباليرمو العام الماضي، حيث بدت مصر والإمارات في كفة، وتركيا في كفة أخرى، وفرنسا وإيطاليا في زاوية، وروسيا في زاوية مستقلة. وحاول غسان سلامة سحب أجندة المؤتمر والهيمنة عليه بما يتماشى مع تطلعاته القديمة للتسوية السياسية ويثبت أنه مفتاح الحل الرئيسي، ناهيك عن إعلان الصين انسحابها بعد الجولة الثانية من لقاءات برلين.

منتدى للخطابة أم للحل

وضع عدم التوافق حول أفكار محدّدة بشأن الصيغة التي سيخرج عليها المؤتمر، أي قمة على مستوى الرؤساء أم لقاء عاديا على غرار ما سبقه من لقاءات، ومن الذين يحق لهم الحضور، من الخارج فقط أم يمكن أن يشمل أطرافا داخلية.

ونكأت تلميحات فايز السراج، رئيس حكومة الوفاق الليبية، إلى مشاركة دول أخرى، مثل قطر، جرحا عميقا، فإذا تم فتح باب الاجتهاد بهذه الطريقة سيتسع المؤتمر كثيرا وقد يفقد بريقه السياسي. فعندما وجّهت برلين الدعوة لدول وتجاهلت أخرى، كان غرضها عدم تحويله إلى منتدى لإلقاء الخطب وتوجيه الاتهامات لتسهيل مهمة الحل السياسي.

بدت أجواء المؤتمر تسير في اتجاه لم تتوقعه ألمانيا في البداية، فعندما طرحت مقاربتها تصورت أنها تتدخل في أزمة تستطيع بقليل من توفيق الأوضاع وتبادل الآراء عبورها بسلام، لقلة خبرتها في الفضاء الليبي. وتحكمت في ترتيباتها بعض الأهداف النبيلة، مثل عدم تلطّخ يديها بدماء في ليبيا، وعزمها وضع حد لتدفق الهجرة غير الشرعية التي أغرقت دول أوروبا، والمساهمة في مكافحة الإرهاب بصورة عملية من خلال اجتثاث جذوره في واحدة من البؤر المركزية، حتى فوجئت بالاستماع إلى خطابات متصادمة، ورغبات تسير في اتجاهات يصعب أن تلتقي عند نقطة مضيئة للتفاهم حولها، بما يعرقل الخطوات البريئة التي اتخذتها برلين.

كانت ألمانيا بحاجة أولا ليقوم وزير خارجيتها بجولته في المنطقة منذ بضعة أشهر، وقبل أن تفكر بلاده في الطرق بقوة على أبواب الأزمة الليبية والتصدي لعقد مؤتمر دولي على مستوى القمة، كي يتسنى لها الإلمام بجميع الأمور، فالأزمة معقدة ومتشعبة بشكل أصاب الأطراف المهمومة بها بالدوار، فكلما تم فك لغز سياسي تناثرت الألغاز العسكرية والعكس.

وصلت برلين إلى مرحلة يصعب التراجع عنها، فهي لا تستطيع إلغاء المؤتمر أو ترحيله وتأجيله لمدة طويلة، فبعد أن كان الموعد المضروب له نهاية أكتوبر أو أوائل نوفمبر، أشار وزير خارجية ألمانيا إلى احتمال انعقاده قبل نهاية العام، بما يعني أنه يواجه عراقيل كبيرة، والتعويل على تقريب وجهات نظر الدول المعنية بات مستحيلا، ما يفرض إدخال تعديلات على الطريقة التي سيظهر عليها المؤتمر، وخفض سقف الأمنيات التي راهنت عليها برلين في التوصل إلى حل نهائي للأزمة.

ترسم النتيجة التي سيخرج بها هايكو ماس من جولته في طرابلس وتونس والقاهرة، الكثير من المحددات التي تتحكم في شكل المؤتمر، فلا مفر من التئامه مهما تدنت الطموحات وتزايدت المشكلات، لأنه تم الترويج له على اعتباره المنقذ والسبيل الوحيد للحل، وربما تكون هذه النوعية من الصفات هي التي استنفرت الجهات الرافضة له، والغاضبة من حصول مخرجاته على دعم وغطاء دوليين يسهلان له التنفيذ.

من هنا بدأت سلسلة من المناوشات السياسية تتوالى لإثارة اللغط والتشويش عليه، لمحاولة تطويقه مبكرا وتصويره كسابقيه وأنه يريد وضع لمسة لبرلين من دون أن يترك بصمة فارقة، خاصة أنها أرادت عقد مؤتمر يكون مفصليا في الأزمة الليبية، ويتجنب التداعيات السلبية التي واجهتها مبادرات أخرى لم تحتو على أجندة زمنية للتطبيق، ولذلك صبغته ألمانيا بالدولي منذ البداية، وضمنت رعاية أميركية، وحصلت على موافقات دول رئيسية في الأزمة.

تبدّلت أمور كثيرة خلال الأسابيع الماضية، وكل طرف بدأ يجذب المؤتمر ناحيته، وإذا لم يستطع، لا يتورع عن إثارة الثرثرة حوله، وفتح قضايا عصية على الفهم، وطرح ملفات غرضها جذب الانتباه بعيدا عن المؤتمر، وتسويقه على أنه محطة عادية في مسيرة أزمة متواصلة منذ حوالي تسع سنوات، وهو ما ظهرت تجلياته مع الضجيج الذي فجره السراج بتكرار تلميحه إلى ضرورة دعوة جميع الدول المعنية.

في هذا السياق، يمكن فهم مبادرة الحل السياسي الجديدة التي طرحها خالد المشري رئيس مجلس الدولة (استشاري) الاثنين، حيث أراد الرجل ضرب مجموعة من العصافير بهذا الحجر الدعائي، أهمها سحب البساط من تحت أرجل مجلس النواب الذي عقد اجتماعا في القاهرة يومي 19 و20 أكتوبر.

> طرحُ خالد المشري مبادرة مفاجئة للحل السياسي، يشير إلى أن جماعة الإخوان تريد وضع عقبة في طريق مجلس النواب وإحراج ألمانيا وحثّها على تعديل رؤيتها بدعوة جميع الأطراف

تبديل في المواقع

أكد البرلمان الليبي أنه الجسم الشرعي والدستوري الوحيد في البلاد، والتوجه نحو عقد اجتماع برلماني داخل ليبيا خلال هذا الشهر تخرج عنه قرارات مصيرية، وغير مستبعد أن يكون من بينها تشكيل حكومة وحدة وطنية تطوي صفحة السراج ومجلسه الرئاسي ومجلس الدولة برئاسة خالد المشري، وتعد البلاد لانتخابات برلمانية ورئاسية.

يشير طرح المشري لمبادرة مفاجئة للحل السياسي، إلى أن جماعة الإخوان المسلمين تريد وضع عقبة في طريق مجلس النواب، وإحراج ألمانيا التي تجاهلت جميع الأجسام العسكرية المحلية، وحثها على تعديل رؤيتها بدعوة جميع الأطراف، وهو ما ينطوي على خفض مستوى التمثيل، أو عقد المؤتمر على مرحلتين، إحداهما تضم قوى داخلية مؤثرة، والثانية دولية.

وقد يجهض هذا التوجه مساعي غسان سلامة الذي يريد عقد ملتقى وطنيا بعد محطة ألمانيا، بحضور قوى محلية، ويجعله يعود إلى زيادة مستوى التنسيق مع الإخوان الذين حاول الاحتفاظ بمسافة بعيدا عنهم وعن حكومة الوفاق، ليعزز حياديته المشكوك فيها من قبل بعض الأطراف الإقليمية.

تقود هذه الحصيلة من التوجهات إلى مزيد من الارتباك في التحركات الألمانية، وتجعل مصير مؤتمرها مجهولا، الأمر الذي دفع هايكو ماس للقيام بجولته العاجلة في شمال أفريقيا، بما يمكن أن يساعد في تمرير المؤتمر بأي صيغة سياسية ممكنة.

لم يكن عقد المؤتمر عند طرحه محل جدل بشأن انعقاده، وكان الخلاف منصبا حول مكوناته وأهدافه وضمان تنفيذ مخرجاته، اليوم باتت برلين أمام خيارين، أحلاهما مر، إرضاء جميع الأطراف وعقد مؤتمر "كرنفالي" يتم فيه تبادل الكلمات بلا جدوى حقيقية،أو التصميم على دعوة الدول المعنية وتجاهل القوى المحلية ومواجهة التحديات المترتبة على ذلك، وأقلها بقاء الأزمة في خندقها وترحيل التسوية إلى مرحلة أخرى؟

فزع في طهران من احتجاجات شوارع لبنان

غاريث سميث
كاتب في العرب ويكلي

واشنطن – تثير الاضطرابات في لبنان الدهشة بين أوساط الطبقات السياسية في إيران. وقد حثّ وزير الخارجية الإيراني، محمد جواد ظريف، الحكومة في بيروت على "الاهتمام بمطالب الشعب"، في تصريح يفضح قلق النظام الإيراني الذي واجه في سنة 2018 أكبر احتجاجات منذ الثورة الإسلامية.

يستعيد النظام الإيراني صدى الشعرات التي نادت لأول مرة بـ"الموت للمرشد الأعلى" وبسقوط النظام الذي يفقّر شعبه من أجل تمويل الميليشيات في الخارج، وهو يتابع التظاهرات في العراق ولبنان، والتي رفعت فيها شعارات مندّدة بإيران وملیشیاتها.

ورغم الحظر على الإعلام والإنترنت ووسائل التواصل، إلا أن الإيرانيين يتابعون بكل السبل المتاحة ما يجري خارج حدودهم باهتمام مختلف. في السابق كان الإيرانيون منهمكين بمتاعب نفقاتهم اليومية ولا يتابعون كثيرا ما يجري في الخارج، لكن الآن يشعرون أن كل شيء مترابط، وما يجري في لبنان أو العراق سيكون له تداعيات على الداخل الإيراني.

ويقول أستاذ جامعي إيراني "الإيرانيون يشاركون صورا للرقص اللبناني وأجواء المرح التي يعيشها اللبنانيون. يقولون إنهم يرغبون في أن يكون لديهم مثل هذه المعايير الاجتماعية والسياسية المريحة في إيران".

ولكن يشم بعض المتشددين رائحة المؤامرة. ويلفت الأستاذ الجامعي إلى أن "قوات الباسيج (الهيئة شبه العسكرية المرتبطة بأعضاء الحرس الثوري الإسلامي)، تنشر على وسائل التواصل الاجتماعي أن الأعداء ينشرون المظاهرات من العراق إلى لبنان من أجل تقويض محور المقاومة".

ويشير إلى أن "هذه حجة قديمة، حيث أن الاحتجاجات ضد الأنظمة التي نعارضها تدافع عن الكرامة والوعي الإسلامي، في حين أن أي احتجاجات ضد حلفائنا يجب أن تكون مؤامرة غربية".

والتظاهرات في لبنان لا تتناسب مع هذه النظرية. فاللبنانيون ينقلون مثالا جيدا في دعمهم، بجميع طوائفهم، للمطالب بتشكيل حكومة انتقالية وإجراء انتخابات جديدة ومحاربة الفساد. ودعا بعض المتظاهرين إلى وضع حد للنظام السياسي القائم على الطائفة.

وتنتشر التعليقات الطائفية على وسائل التواصل الاجتماعي، في حين أن منتقدي حزب الله متحمّسون. وعلى موقع مجلة "فورين بوليسي"، كتبت الباحثة اللبنانية حنين غدار أن الاضطرابات في لبنان والعراق تكشف أن "نظام إيران فشل في بسط نفوذه في المنطقة، لأن سيناريو المقاومة الإيرانية لم يوفر الاحتياجات الأساسية للشعب الإيراني".

إن مثل هذه الحجج تناقض دور جماعة حزب الله المحدود في الحكومة منذ توليه مناصب وزارية في عام 2005. وكان هذا بعد وقت طويل من قيام رئيس الوزراء السابق رفيق الحريري بتحديد مسار اقتراض حكومي مرتفع، معتقداً أن هذا البرنامج سوف يدعمه السلام الإقليمي والنمو الاقتصادي والاستثمار من المغتربين اللبنانيين. ومع تعثر النمو الاقتصادي، فشل السياسيون في لبنان، وكثير منهم قادة ميليشيات سابقين، في التكيف أو كبح شهيّتهم. حيث وصل الدين العام إلى 86 مليار دولار، في حين أن الاقتراض الحكومي غذى أسعار الفائدة المعطلة التي أعاقت الصناعة الإنتاجية.

وأثرى الاقتراض الحكومي أيضا أولئك الذين لديهم ودائع مصرفية كبيرة.

وبقي حزب الله بمعزل. وكان قد تحالف مع حركة أمل، لكنه سمح للحركة عموما بالقتال من أجل الشيعة داخل النظام الطائفي في لبنان، حيث يوزع القادة المزايا والموارد. وهكذا حافظ حزب الله على "نقائه" وركز على بناء جيشه "المقاومة الإسلامية".

من هنا، كانت حركة أمل الشرارة التي أشعلت الاحتجاجات في مدينة صور الجنوبية ذات الأغلبية الشيعية، حيث قام المتظاهرون بإشعال النار في مطعم رست هاوس، وهو فندق شاطئي تملكه الدولة ولكنه مرتبط بزعيم حركة أمل، نبيه برّي. وأهانت الشعارات زوجة برّي التي تتمتع بأسلوب حياة فخم.

ومع ذلك، ودون إعادة تقييم أساسية، فإن الأمين العام لجماعة حزب الله، حسن نصرالله، ليس لديه بديل يذكر للتحذير من أن تغيير الحكومة لن يُنهي المشاكل المنتظمة. دخل حزب الله إلى الحكومة في عام 2005 ليس لإصلاح النظام الطائفي أو كبح الفساد ولكن لحماية المقاومة الإسلامية بعد الانسحاب العسكري السوري.

> الإيرانيون يشاركون صورا للرقص اللبناني وأجواء المرح التي يعيشها اللبنانيون. يقولون إنهم يرغبون في أن يكون لديهم مثل هذه المعايير الاجتماعية والسياسية المريحة في إيران

ومن هنا، يثير المتظاهرون غير الطائفيين المعادين للحكومة بشكل غير مباشر علاقة حزب الله بأنصاره، الذين يواجهون نفس التحديات في الحياة اليومية مثل غيرهم من اللبنانيين. وبينما عبر نصرالله عن تعاطفه مع المحتجين، فهو لا يريد تشجيعهم. إن التحدي الذي يواجهه هو أن "الكرامة" تتعلق بتحقيق الغايات مثل أي شيء آخر.

وقال محلل أمني عربي "حزب الله خاسر في هذه المظاهرات، حيث أصبح من الواضح الآن أن الشيعة لا يدعمونه بنسبة 100 بالمئة كما يتصور. هذه نقطة ضعف كبيرة لن يغفلها معارضو حزب الله، بما في ذلك إسرائيل".

وهذا يتعلق بإيران، حيث أظهر موقع المرشد الأعلى آية الله علي خامنئي مؤخرا صورة فخمة لخامنئي إلى جانب نصرالله وقاسم سليماني، قائد فيلق القدس. وهناك مشكلة أخرى تواجه حزب الله وإيران وهي أن هناك حاجة إلى حكومة فعالة تدعم البنك المركزي ضد الضغوط الأميركية لمعاقبة حزب الله.

وقال مهرزاد بروجردي، مدير كلية الشؤون العامة والدولية في جامعة فرجينيا للتكنولوجيا "الإيرانيون قلقون بشأن انهيار الحكومة اللبنانية والطريقة التي يتم بها انتقاد جميع الأطراف بما في ذلك حزب الله. إذا نفذ البنك المركزي جميع العقوبات ضد حزب الله، فسيصبح الوضع أكثر إثارة للقلق بالنسبة للإيرانيين".